وهذه العناصر واضحة تماما في الموضوعات الاولى للادب الاسرائيلي الفتي وفي جملة المشاكل التي كان يعاني منها في طوره الحديث الاول . لقد كان هذا الادب منذ البداية أدبا ذا موضوعات واضحة امامه . ويرجع هذا الى انه كتب في ذروة حدث تاريخي ، واستقى من هذا الحدث بصورة مباشرة معظم موضوعاته ، وبدقة أكثر .. لقد فرضت عليه موضوعاته ، دون ان يتاح للاديب فرصة الاختيار . ولهذا السبب فان الحبكة الروائية للقصص الاولى كانت مبلورة في غالب الاحيان . ولم يكن سبب هذا التبلور هو التصوير الفني الموجه فحسب، بل الواقع الاجتماعي السياسي الذي كانت عملية فرض « القيم » واضحة فيه ولا مجال للحيدة عنها ، وفي مقابل هذا ، فان طابع الابطال الموصوفين في هذه القصص كان ضعيفا وغامضا ، ولم يكن تدخل الاديب في الحبكة الروائية المقصوصة يبتعد عن مجمل الاراء المثالية الشائعة عن مشاكل الفرد والمجتمع، وهي الآراء المستعارة من « ايديولوجية » مألوفة تعلم على أسسها كل من الاديب وأبطاله ، على الرغم من الميل الى النقد المتردد لما هو موجود .

وبالفعل فان هاتين الصفتين : الحبكة الروائية التي تفرض نفسها بميلها الواضح ، ووهن الشخصية التي ينجرف في سياق هذه الحبكة دون أن تحظى بأن تكون عنصرا صائغا للاحداث — هما اللتان تخلقان باندماجهما معا الطابع الخاص للادب العبري خلال الخمسينات والستينات . ان هذا الادب هو أدب « تخبطات » ليست لديه لا الجراة على الانقضاض النقدي المباشر ضد التجربة الاجتماعية المثالية المفروضة عليه، ولا القوة كذلك على التسليم بها من خلال الاستجابة الشخصية والاقتناع الشخصي بها بصورة كاملة . ان الادباء وابطالهم يعترفون وهم في حيرة من أمرهم ، تكاد تتحول بمرور الايام الى احساس بالذنب ، باستقرار ما يسمى « بالقيم الاجتماعية والقومية »، التي تعلموا على اساسها في بيت الاباء ، وفي المدارس ، وفي حركة الشباب والاعداد ، ويعترفون كذلك بحيوية الاهداف الاجتماعية والقومية التي يصفون الصراع من أجل تحقيقها . ولكنهم على الرغم من هذا يطوون في قلوبهم رغبات أخرى - وآمالا أخرى ، بعضها كان الصراع نفسه ، دون أي ارتباط بأهدافه ، يرضيها ، وهي رغبات فترة الصبا المنصرمة وآمالها (الصداقة والحب والجراة والمغامرة) ، ولم يكن البعض الاخر ، يرضيها الصراع ، وذلك لانه كان يدفع جانبا ويهمل (الرغبة في الثقافة ، والعمل الفني ، وفي طابع حياة اكثر خصوصية) . ولذلك ، فانه لا عجب ، في أن الشخصية التي تظهر في هذه القصص ، هي شخصية ابعد ما تكون عن النضوج . ان هذا الادب ليس الا صوت صراخ خافت لحيرة منطوية على نفسها سرعان ما تصبح « قيمة » أدبية ، بمثابة جرعة مخلوطة بالشفقة الذاتية وبالوعي بميزة القيمة العقلانية، لا تحتاج الى قرارات ، ومن الممكن العب منها حتى الثمالة .

وهذا هو حسبما يبدو ، المناخ الروحي ، الذي تشكل فيه انتاج س. يزهار بتخبطاته وترددات ، والذي ينمو فيه بطله المميز الذي لا يملك لا قوة التقرير ولا حتى الرغبة في اتخاذ القرار . انه يرسم له بشكوكه الدائرة المألوفة ، تلك الدائرة التي يدور في فلكها بأمان . انه يبرر بشكوكه انعزاله ويسلم ببيئته ، التي لم يتمرد عليها حينما حافظ على الحق في الوقوف في وسطها جانبا . ان حق اتخاذ القرار هو أبدا من حق البيئة الخارجية (المجتمع ، والمجموع والقائد) ، ولكن الفرد ليس له الحق الا في التخبط حينما يستجيب لهذه القرارات .

ونحن نقرأ مثلا في « قافلة منتصف الليل » (١٩٥٠) ليزهار فقرة تكشف عن هذه الرغبة الجامحة في التملص من اتخاذ القرار عن طريق القاء العبء على المجموع « ثارت رغبة في أن يكون في قلب كل الاعمال التي ستتم هنا ، وأن يأخذ ، وينظم ، ويعمل .